ملحق جريدة النهار - نهار الكتب
الشهري - ٢٠ آب ١٩٩٧

شعر ابيض ولحية رمادية

مذكرات انسان، كشوفات في اسرار الحياة وألغازها، هو الكتاب الخامس والعشرون من سلسلة علوم الايزوتيريك او "المضنون بها على غير اهلها" على ما كانت تقول العرب. والكتاب نسّقه ج ب م بمعنى جمعه وقدم له. وهو عبارة عن يوميات كتبت بين اول كانون الثاني ١٩٣١ واول كانون الثاني ١٩٤٨، يغفل المنسق اسم صاحبها تنفيذا لرغبته. وتروي كيف التقى الراوي أمه في "الحياة الثالثة" فاستطاعت ان تكفّر عن ذنبها وتفي نذرها. وتساعد ابنها على ان يعرف السعادة الحقيقية بعد ان امدته الى "درب الوعي" وتعلم فن العيش وفن الحياة وسر المحبة في "الايزوتيريك" فتحقق "ان ما نسميه مصادفة لا وجود له في قانون الحياة بل هي فرصة مؤاتية تمنحنا اياها الحياة لنستفيد من عطاءاتها".

من اليوميات:

وبينما كانت شاردة في ذكرياتها، اذ بصوت دافئ رخيم، وكأنه صوت الضمير يكلمها من اعماق مشاعرها، يسألها: "لماذا تبكين؟ هل استطيع ان اساعدك؟!".

التفتت لتبصر رجلا وقورا، طويل القامة، يناهز الستين من العمر، يكلّل هامته شعر ابيض، وتغطي ذقنه لحية رمادية تتماوج فيها بعض الخيوط البيضاء وكأنها تنسج فيما أملاً بالشباب والحيوية.

حين تفرّست فيه، ارتاحت الى وجوده، وأحسّت برغبة جامحة في الافضاء بمكنونات قلبها، فقصّت عليه مأساتها... فما كان من هذا الشخص الجليل الا ان هزّ رأسه وقال لها: "وهل كنت تعتقدين ان في مستطاعك ان تسخري من نفسك، او ان تهزئي من قدرة الحياة؟!".

فارتجفت السيدة وأحسّت ان ذلك الشخص المجهول يتفوه بالحقيقة.

فهي وعدت ونذرت بأن تقدم اعز ما لديها... لكنها لم تفِ بنذرها... وها هي تعارض حكم الحياة عليها. فاحتجّت بعصبية: "حتى وإن لم افِ بوعدي، فهل تسلبني الحياة اعز ما عندي، ابني الوحيد؟".

اطرق الرجل الوقور مفكرا لهنيهة ثم قال: "لا بد ان لذلك سبباً... سأبحث في الامر واجيبك في الاسبوع المقبل، في هذا المكان، وفي مثل هذا الوقت، فانا في نهاية كل اسبوع ازور هذا المكان لأروّح عن نفسي بين ربوع الطفولة".

ما ان انهى كلامه حتى توارى خلف ظلال الاشجار تاركاً اياها في حيرة من امرها.

* مذكرات انسان.- تنسيق ج ب م.- بيروت، منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء، ١٩٩٧.- ٧٩ ص.